

المحاضرة 7: المهارات الكبرى لتعليم اللغات

تعد المهارات اللغوية أهم ركائز تعليم اللغة، فهي الأساس في اكتساب اللغة واستعمالها في التواصل، وقد تتعدى ذلك إلى تنمية كل القدرات المعرفية والعقلية للمتعلم لأهميتها في كافة التعلّيمات.

أولاً: مفهوم المهارة:

المهارة في اللغة من الجذر مهر، وتعني إحكام الشيء والحدق فيه والماهر الحاذق، وهي في البيداغوجيا مقابل لمصطلح الملكة، وتعني الأداء الذي يقوم به الفرد بإتقان وفعالية في فترة زمنية قصيرة، وتقوم على التكرار، وهي نشاط عقلي وبدني يؤديه الفرد يقتضي التكيف مع ظروف المتغيرات ومستوى من الدقة والإتقان وللحديث عن المهارات الكبرى في تعليم اللغة أو المهارات اللغوية فهي القدرات التي لا بد من توفرها لدى المتعلم ليتمكن من الأداء اللغوي الجيد ويمكن حصرها في أربعة مهارات هي: الاستماع، الكلام أو النطق، مهارة القراءة ومهارة إنشاء اللغة، ويضاف إليها الفهم على اعتباره العنصر الأساس بينها جميعاً ولا يتم اكتساب اللغة إلا به.

1- مهارة الفهم: الفهم في اللغة كما ورد في المعجم الوسيط: حسن تصوّر المعنى، وجودة استعداد الذهن للاستنباط، أما في الاصطلاح فيعرف على أنه المعرفة بشيء أو مواقف أو حدث أو تقرير لفظي، ويشمل المعرفة الصريحة الكاملة بالعلاقات والمبادئ العامة، وهو حاصل الترابطات بين الرموز اللغوية وبين ما تحيل عليه من خبرات داخلية أو خارجية. وهو مرتبط بالنمو الجسدي والعقلي للفرد، لأنه المؤدي إلى عملية الإدراك. وفي إطار العملية التعليمية يبقى الفهم هو الأساس لتلقي المعارف بشكل عام واللغة بشكل خاص، فالفهم عملية عقلية إدراكية معقدة، تسمح للفرد بمعرفة ما يتلقاه من أفكار ومعارف وربطه بخبراته السابقة. والفهم اللغوي منصب أكثر على الفهم السمعي، لأن اللغة تكون مكتوبة فهو فهم قرائي، أو مسموعة وهو الفهم السمعي الذي يكون في مرحلة الاكتساب اللغوي، حيث يبدأ الطفل تعلم اللغة المنطوقة.

2- مهارة الاستماع (فهم اللغة أو التلقي):

وهي من المهارات التي تقوم على فك الترميز، وهي مهارة معقدة يعطي فيها المستمع كل اهتمامه للمتحدث ويركز انتباهه على حديثه محاولاً تفسير أصواته وإيحاءاته بغية استيعاب ما تحويه الرسالة المنطوقة بما يكفل للمستمع تحقيق اتصال شفوي جيد مع الآخر.

أي أنه يستقبل الرموز الصوتية أو ما يطلق عليه دي سوسير الصورة السمعية للرسالة، ويحاول تفسيرها تحول إلى صورة ذهنية، بغية الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم. وهذه عملية عقلية معقدة. يتم فيها استقبال رموز صوتية وتحويلها إلى معاني مفهومة وتنتمي إلى الثقافة المشتركة للمتحدثين، ففهم هذه الصورة السمعية أساس لا يمكن تجاوزه لتحقيق مهارة الاستماع، فالاستماع عملية معقدة تهدف إلى الاكتساب والفهم وتقوم على التحليل والتفسير، فالطفل سينتج لغة من جنس ما يسمع، والسمع من المتكلم المثالي كما يصفه تشومسكي بأداء

مثالي سيؤدي بالضرورة إلى تعلم اللغة والوصول إلى الأداء الجيد، فالتقاط المسموع وحسن فهمه وإدراكه بالتركيز اللازم هو بوابة الطفل لتعلم اللغة والتدريب عليها.

3- مهارة المشافهة: حدّ اللغة كما عرّفها ابن جني: أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، فالأصل في اللغة أنها أصوات، أي كلام منطوق، وحتى في الاكتساب الطبيعي للغة، يبدأ الطفل بالاستماع ثم النطق، وما ينتج من أصوات بالحاكاة والتقليد، واستعمال اللغة في الواقع لا يكون إلا مشافهة في التواصل الطبيعي. وهذا ما اهتمت به التعليمية الحديثة، حيث أعطت لهذا الأمر أولوية، بعد أن كان الاهتمام منصباً على النصوص المكتوبة، فالطفل وهو يكتسب لغته، يبدأ بالتدرج من نطق الأصوات دون وعي إلى الكلمة ثم إلى الجملة ثم إلى التعبير، وليتم ذلك يستخدم الطفل والانسان بصفة عامة، جهاز النطق بدءاً من الجوف إلى الشفتين مروراً بالرئتين والحلق وتجويف الفم بكل تفاصيله . فالمتكلم يعبر عن أغراضه بهذه الأصوات بعد أن يكون قد تدرّب على سماعها، واعتاد استعمالها، وفهم مضامينها، واستوعب جزءاً منها يمكنه من التعبير . أي أنه كوّن حصيلة لغوية، فالمشافهة تقتضي الفهم والاستماع ومن ثم النطق، فيستطيع تبادل الكلام مع غيره، فيسمع ويفهم المقصود ويرد باللفظ المناسب، وهذا هو التواصل، المتعلم يكتسب القدرة على استعمال اللغة استماعاً فهماً ونطقاً.

4- مهارة القراءة: هي المستوى الثالث لاكتساب اللغة عند الطفل، تقوم هذه المهارة على حاسة البصر، وتعني التعرف على الرموز المكتوبة التي تستدعي معاني تكونت من خلال خبرة القارئ السابقة في صورة مفاهيم يدرك مضامينها الواقعية، وهذا يعني أنها مرحلة تالية لمرحلتى الفهم والاستماع، وانطلاقاً من هذه الزاوية تعرّف على انها فك الرموز المكتوبة وتحويلها إلى رموز صوتية كما فعل فيشر، فهي عملية تقتضي فك الرموز التي يتم التعرف عليها بالإبصار وهو مصدر حسي، ثم التفكير فيها وفهمها عقلياً، أي إدراك ما تعنيه ومعرفة مضمونها وربطه بخبراته السابقة، فتتم القراءة بمعرفة الحروف، ثم الكلمات، ثم الجمل، ثم ربطها ببعضها البعض أي بناء العلاقة بين العناصر اللغوية. وبذلك تكون عملية عقلية معقدة وليست بالبساطة التي يتصورها البعض.

وخلاصة القول فالقراءة كما يراها مايكل بيست وجونسن: جزء من أجزاء اللغة وهي نظام ترميزي ووسيلة تمكن الفرد من دمج وتنظيم الخبرة، وهي مرتبطة بنظام آخر أساسي يستخدمه الفرد، وهو الكتابة، وهما معا يمثلان الجانب المسموع والمرئي من اللغة، وبهما معا يمكن للفرد ان يمتلك الأداء اللغوي الجيد الذي يسمح له بتلقي المعارف الأخرى والعلوم.

والقراءة أنواع حسب الأهداف المرجوة منها، قراءة سريعة، قراءة جهريّة قراءة وظيفية قراءة أدبية قراءة حرفية قراءة تصحيحية، وقراءة علاجية، وتتحدد هذه القراءات حسب ما يراد من العملية التعليمية لكي يكتسب الفرد هذه المهارة.

4-مهارة الكتابة: وهي مرحلة متقدمة من مراحل اكتساب اللغة، فإن كان الإنسان يعرف الكلام والنطق منذ

وجوده الأول على وجه الأرض، فهو لم يعرف الكتابة إلا بعد أمد طويل، وبالتحديد منذ خمسة آلاف سنة.

فالكتابة مستوى ثان من التواضع اللغوي، يربط الصوت برمز بصري، وبامتلاكها يصبح بإمكان المتعلم

أن يتحرر من التبعية إلى المعلم، وتفتح له آفاق المعارف.

وتعد الكتابة أداءً فردياً وكلاماً مستمراً بفعل النظام الكتابي، فهو مرئي ودائم، على عكس المنطوق مسموع

وزائل. يتم تعلّم الكتابة وفق خطوات عملية تقوم على أساس التدريب والتكرار لاكتساب الخط، لكنها في الوقت

ذاته، عملية لها أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية وجسدية، انتبه لها علماء اللسانيات التطبيقية لاختصار الجهد

والوقت، فقد كانت إلى وقت غير بعيد تقوم على أساس تقليدي تنطلق من الجزء إلى الكل، يتعلم فيه المتعلم

بالتدرج صور الحروف والأصوات منفردة، ثم صور الكلمات، ثم الجمل، في حين يرى دوكرولي ضرورة الانتقال

من الكل إلى الجزء، فيعطى المتعلم الجمل كاملة، فترسم جميع مكوناتها حتى وإن لم يميز حدودها ومعانيها، ثم

ينتقل بمساعدة المعلم إلى تحديد الأجزاء وفهمها، وهذا كله من مشكاة النظرية الجشطالتية التي تركز على الإدراك

وتعد البصر أحد بواباته. وقد تبين في العصر الحديث أن إجبار الطفل على الكتابة في سن مبكرة لم يكتمل فيها

نموه الجسد مضر به، بمعنى أن الكتابة تحتاج إلى الاستعداد الجسدي أي اكتمال نمو الطفل.

5-مهارة إنشاء اللغة: لا يعدّ الدارسون إنتاج الأصوات الذي هو بداية الكلام والنطق إنتاجاً للغة، بل هو

مرحلة تسبقه، لأنه لا يمكن من الحديث بالشكل المتعارف عليه، فعملية توليد اللغة وإنتاجها يعني القدرة على

التعبير حيث يتضمن، ذلك إقامة اتصال كتابي أو شفهي تلقائي وعفوي أو رد على أسئلة وتوجيهات، وهذا يعني

قدرة المتكلم على إنتاج عدد من الجمل متجدد، فالمتكلم لا يقوم بتخزين كل جمل اللغة بعد حفظها ومن ثم

استدعاءها للاستعمال حسب المواقف، بل يعرف الكلمات وكيفية الربط بينها أي التركيب وقواعد اللغة، وهذا ما

عبّر عنه نعوم تشومسكي في نظريته التوليدية التحولية بالملكة اللغوية تحت مصطلحي الكفاءة والأداء، أي أن

الطفل يمكنه إنتاج عدد لا نهائي من الجمل التي لم يسمعها قبل ذلك.

خلاصة القول إن المهارات اللغوية هي عمليات عقلية معقدة تتداخل فيما بينها، تتحقق بالتعرض للغة،

بالاستماع والدرية على الكلام والنطق السليم وفهم المعنى، وامتلاكها مجتمعة يظهر في مهارة الإنشاء سواء كان

ذلك شفهيًا أو كتابيًا، فيصبح بالإمكان إنتاج اللغة والتعبير عن كافة الأغراض وفي جميع المواقف نطقًا وكتابةً.